

أضواء البيان

@ 269 أرسل عليهم مطراً من حجارة السجيل في مواضع متعددة كقوله تعالى : { فَلَمَّآ جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَاهَا عَالِيَةً لِّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَاهَا عَلَیْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ } ونحو ذلك من الآيات . وقد بين تعالى أنه أهلك أصحاب مدين بالصيحة في مواضع كقوله فيهم : { وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنَّ لِّلَّهِ يَغْنَوُوهَا فِيهَا أَلَا بُعْدُ لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ } إلى غير ذلك من الآيات وقد بين في مواضع كثيرة أنه أهلك الذين كذبوا موسى ، وهم فرعون وقومه بالغرق كقوله : { وَاتَّخَذَ الْيَحْزَرَةُ هُودًا لِّمَدِينِهِمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ } وقوله تعالى : { فَأَتَتْ بِهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ فَغَشَّيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَاءً غَاشِيَهُمْ } وقوله تعالى : { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَزَّهٌ لَا إِلَـهَ إِلَّا السَّـدُورُ ءَامَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } إلى غير ذلك من الآيات . .

ومعلوم أن الآيات كثيرة في بيان ما أهلكت به هذه الأمم السبع المذكورة ، وقد ذكرنا قليلاً منها كالمثال لغيره ، وكل ذلك يوضح معنى قوله تعالى بعد أن ذكر تكذيب الأمم السبع لأنبيائهم { فَأَمْلَأْنَاهُ مِن لَّدُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا تُمْمٌ } أَخَذَتْهُمُ { أي بالعذاب ، وهو ما ذكرنا بعض الآيات الدالة على تفاصيله وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { فَكَذِيفَ كَانَ نَكِيرِ } النكير : اسم مصدر بمعنى الإنكار أي كيف كان إنكاري عليهم منكرهم ، الذي هو كفرهم بي ، وتكذيبهم رسلي ، وهو ذلك العذاب المستأصل الذي بينا وبعده عذاب الآخرة الذي لا ينقطع نرجو الله لنا وإخواننا المسلمين العافية من كل ما يسخط خالقنا ، ويستوجب عقوبته . والجواب إنكارك عليهم بذلك العذاب واقع موقعه على أكمل وجه ، لأن الجزاء من جنس العمل ، فجزاء العمل البالغ غاية القبح بالنكال العظيم جزاء وفاق واقع موقعه ، فسبحان الحكيم الخبير الذي لا يضع الأمر إلا في موضعه ولا يوقعه إلا في موقعه ، وقرأ هذا الحرف ورش وحده عن نافع : { فَكَذِيفَ كَانَ نَكِيرِ } بياء المتكلم بعد الرء وصلأ فقط وقرأ الباقون بحذفها اكتفاء بالكسرة عن الياء . .

قوله تعالى : { فَكَأَيُّ يَن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَّعْطُوفٌ لِّأَلَةٍ وَقَصْرِ مَّشِيدٍ } . بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أهلك كثيراً من القرى في حال كونها ظالمة : أي بسبب ذلك الظلم ، وهو الكفر بالله وتكذيب رسله ، فصارت بسبب الإهلاك والتدمير ديارها متهدمة وآبارها معطلة ،

لا يسقي منها شيء لإهلاك أهلها الذين كانوا يستقون منها .